خصائص شعر الغزل عند عمر بن أبي ربيعة

الرائية أنموذجاً



بقلم الدكتور:

عبدالحكيم الزبيدي

نشر إلكترونيا في أبريل / نيسان 2007

الإخراج الفني وتصميم الغلاف : بشير بساطة

فهرس المحتويات

مقدمة ....(2-3)
الشاعر 2
القصيدة 3
النص ....(4-12)
النص 4
المفردات.. 7
الشرح 10
الدراسة والتحليل ....(13-27)
1- المضمون ....(13-20)
أ- الأفكار والمعاني.. 13
ب- الدلالات النفسية 16
جـ- الدلالات الاجتماعية.................................... 18
2- الشكل ....(21-27)
أ- الألفاظ 21
ب- التراكيب 23
جـ- الصور الفنية 25
د- الإيقاع الموسيقى 26
الخاتمة 28
المصادر والمراجع... 30
فهرس المحتويات... 31

الشاعر:

ولد عمر بن عبدا بن أبي ربيعة المغيري المخزومي، سنة 23 هـ في الليلة التي قتل فيها عمر بن الخطاب - رضي ا عنه - على الأرجح، ولا يعرف بالتأكيد مكان مولده، فيقال أنه ولد باليمن، كما يقال أنه ولد بالمدينة.[1] وكما اختلف في ميلاده اختلف في سبب وفاته أيضاً، فقيل أنه غزا في البحر، فأحرقت سفينته ومات، وقيل إن امرأة دعت عليه لأنه ذكرها في شعره، فهبت عليه ريح، وجرحه غصن شجرة استتر بها، فمات[2]. وقيل أنه أصيب في آخر حياته بالبرداء (الملاريا) فانتقل الى اليمن عند أخواله ومات سنة 93 هـ[3].

نشأ عمر في المدينة نشأة الترف والجاه، وكان له من الجمال والمال ما فتح له أبواب الملاهي على مصراعيها، وكان شديد الولع بالنساء. انتقل عمر الى مكة، وفيها واصل حياته اللاهية، مستغلاً مواسم الحج للقيام بمغامراته مع النساء، إلا أنه تاب في أخريات حياته وتنسك[4].

وقد تميز شعر عمر بن أبي ربيعة عن غيره من الشعراء في أنه الشاعر الوحيد الذي صور لنا حياته الاجتماعية، لاسيما الناحية التي تتعلق بالمرأة وصلته بها، وبذلك يعد شعره خير مصدر لدرس المرأة الحجازية في عصره من حيث عاداتها وأخلاقها ولبسها وتفكيرها[5].

---

1 - د. فايز محمد: ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ - 1992م، ص 7.

2 - المرجع السابق، ص 8.

3 - د. يوسف شكري فرحات: ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار الجيل ، بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ - 1992م، ص 8.

4 - د. فايز محمد: مرجع سابق، ص 8.

5 - د. يوسف شكري فرحان: مرجع سابق، ص 8-9.

ويعد عمر بن أبي ربيعة أسبق الشعراء الى التخصص، فهو يكاد يقتصر في شـعره على موضوع واحد وهو المرأة[6]. كما يتميز شعر عمـر أيـضاً بكثـرة الـسرد القصصي، وقد أدى هذا السرد القصصي به الى جعل القصيدة وحدة كاملة، بحيـث يصعب تقديم بيت على آخر، فأدى الى وجود الوحدة العضوية في قصائده وهذا أمر جديد على الشعراء[7].

[6] - المرجع السابق، ص 9.

[7] - المرجع السابق، ص 9.

تعد القصيدة الرائية (أمن آل نُعم) من أشهر قصائد عمر بن أبي ربيعة، وفيها تتوفر أكثر خصائصه الشعرية. وقد نظمها في امرأة اسمها " نُعم" قيل إنها من ولـد أبي سفيان بن حرب، وقيل إنها امرأة كتم شخصيتها وأشار اليها باسم نعم(8). وفيها يروي إحدى مغامراته العاطفية، في قالب قصصي جميل توفرت فيه عناصر القصة القصيرة بمفهومها المعاصر من مقدمة ووسط ونهاية وعقدة وحل. كما أن القـصيدة غنية بالصور النابضة الحية التي تصور الحياة الاجتماعية في زمن الـشاعر خيـر تصوير.

لكل تلك الأسباب وقع اختيارنا عليها لندرس من خلالهـا خـصائص شـعر الغزل عند الشاعر الأموي عمر بن أبي ربيعة – رحمه ا .

[8] - المرجع السابق، ص 193.

النص

1-أمن آل نُعمٍ أنت غاد فمبكر   غداة غد أم رائح فمهجر
2-بحاجة نفسٍ لم تقلْ في جوابها   فتبلغَ عذراً والمقالة تُعذر
3-تهيم الى نُعمٍ فلا الشملُ جامع   ولا الحبلُ موصولٌ ولا القلب مقصر
4-ولا قُرب نُعمٍ إن دنت لك نافع   ولا نأيها يسلي ولا أنت تَصبر
5-وأخرى أتت من دون نُعمٍ ومثُلها   نهى ذا النهى لو ترعوي أو تُفكر
6-إذا زرتُ نُعماً لم يزلْ ذو قرابة   لها كلما لاقيتُه يتنمر
7-عزيز عليه أن أُلِم ببيتها   يسر لي الشحناء والبغْض مظْهر
8-ألكني اليها بالسلامِ فإنه   يشهر إلمامي بها وينكر
9-بآية ما قالت غداةَ لقيتُها   بمدفع أكنانٍ: أهذا المشَهر؟
10-أشارت بمدراها وقالت لأختها: أهذا المغيري الذي كان يذكَر؟
11-أهذا الذي أطريت نعتاً فلم أكن   وعيشك أنساه الى يومِ أقبر؟
12-فقالت: نعم لا شك غَيَّر لونَه   سرى الليل، يحيى نَصه، والتهجر
13-لئن كان إياه لقد حالَ بعدنا   عن العهد والإنسان قد يتغير
14-رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضتْ   فيضحى وأما بالعشي فيخْصر
15-أخا سفرٍ جواب أرضٍ تقاذفت   به فلَواتٌ فهو أشْعثُ أغْبر
16-قليلٌ على ظهرِ المطية ظله   سوى ما نفى عنه الرداء المحبر
17-وأعجبها من عيشها ظل غُرفة   وريان ملتف الحدائق أخضر
18-ووالٍ كفاها كل شيءٍ يهمها   فليست لِشَيْءٍ آخر الليل تَسهر
19-وليلةَ ذي دوران جشمتني السرى   وقد يجشُمُ الهولَ المحب المغَرر
20-فبت رقيباً للرفاق على شفا   أحاذر منهم من يطوفُ وأنظر
21-إليهم متى يستمكن النوم منهم   ولي مجلس لولا اللبانَةُ أوعر
22-وباتت قلوصي بالعراء ورحلُها   لطارق ليلٍ أو لِمن جاء معور
23-وبت أناجي النفس أين خباؤها   وكيف لما آتي من الأمرِ مصدر
24-فدل عليها القلب ريا عرفتُها   لها وهوى النفسِ الذي كاد يظهر
25-فلما فقدتُ الصوتَ منهم وأُطفئتْ   مصابيح شُبتْ بالعشاء وأنور
26-وغاب قمير كنت أهوى غيوبه   وروح رعيان ونَوم سمر

27-وخُفِّض عني الصوتُ أقبلتُ مـشيةَ ... الحبابِ وشخـصي خَـشيةَ الحـي أزور
28-فحييـ ـتُ إذ فاجأتُهـ ـا فتولهـ ـتْ ... وكـادتْ بمخفـوضِ التحيـة تجهـ ـر
29-وقالت وعضت بالبنـانِ فـضحتني ... وأنـت أمـرؤٌ ميـسور أمـرِك أعـسر
30-أريتَك إذ هنـا عليـك ألـم تَخَـفْ ... وقيتَ، وحـولي مـن عـدوك حـضر
31-فواللـه مـا أدري أتعجيـلُ حاجـة ... سرت بك أم قد نام مـن كنـتَ تحـذر
32-فقلتُ لها بل قادني الشوقُ والهـوى ... إليك ومـا نفـس مـن النـاسِ تَـشْعر
33-فقالت وقد لانـت وأفْـرخَ روعهـا ... كـلاك بحفْـظ ربـك المتكبـ ـر
34-فأنت أبـا الخطـابِ غيـر مـدافَعٍ ... علـي أميـر مـا مكثـتَ مـؤمر
35-فبت قرير العينِ أُعطيـتُ حـاجتي ... أُقبِّـلُ فاهـا فـي الخَـلاء فـأُكْثر
36-فيا لك مـن ليـلٍ تقاصـر طولُـه ... ومـا كـان ليلـي قبلَ ذلـك يقـصر
37-ويا لك من ملهـى هنـاك ومجلـسٍ ... لنـا لـم يكـدره علينـا مكـدر
38-يمـج ذكـي المـسك منهـا مقبَـلٌ ... نَقـي الثنايـا ذو غُـروبٍ مؤشـر
39-تـراه إذا تفتَـر عنـه كأنـه ... حـصى بـرد أو أقحـوان منَـور
40-وترنـو بعينَيهـا الـي كمـا رنـا ... الـى ظبيـة وسـطَ الخميلـة جـؤذَر
41-فلمـا تقـضى الليـلُ إلا أقلـه ... وكـادت تَـوالي نجمـه تتغَـور
42-أشارت بأن الحي قـد حـان مـنهم ... هبـوب ولكـن موعـد منـك عـزور
43-فمـا راعنـي إلا منـاد تَرحلـوا ... وقد لاح معروفٌ مـن الـصبح أشْـقَر
44-فلمـا رأت مـن قـد تنبـه مـنهم ... وأيقاظَهم، قالـت: أشـر كيـف تـأمر
45-فقالـتُ: أبـاديهم فإمـا أفـوتُهم ... وإمـا ينـالُ الـسيفُ ثـأراً فيثـأر
46-فقالـت أتحقيقـاً لمـا قـال كاشـح ... علينـا وتـصديقاً لمـا كـان يـؤثَر
47-فإن كـان مـا لابـد منـه فغيـره ... مـن الأمـرِ أدنـى للخفـاء وأسـتر
48-أقص علـى أختـي بـدء حـديثنا ... ومـا لـي مـن أن تعلمـا متـأخر
49-لعلهمـا أن تطلُبـا لـك مخرجـاً ... وأن ترحبا سـرباً بمـا كنـتُ أحـصر
50-فقامت كئيباً لـيس فـي وجههـا دم ... مـن الحـزنِ تُـذري عبـرةً تتحـدر
51-فقامـت إليهـا حرتـان عليهمـا ... كـساآنِ مـن خَـز دمقْـس وأخـضر
52-فقالت لأختيها: أعينـا علـى فتًـى ... أتـى زائـراً والأمـر للأمـرِ يقـدر
53-فأقبلتـا، فارتاعتـا، ثُـم قالتـا: ... أقلـي عليـك اللـوم فالخَطـب أيـسر
54-فقالت لها الصغرى: سأعطيه مطرفي ... ودرعي، وهذا البـرد إن كـان يحـذر
55-يقـوم فيمـشي بينَنـا متنكـراً ... فـلا سـرنا يفـشو ولا هـو يظهـر
56-فكان مجني دون مـن كنـتُ أتقـي ... ثـلاثُ شُـخوصٍ كاعبـانِ ومعـصر

57-فلما أجزنا ساحةَ الحـي قُلْـن لـي ألــم تتــق الأعــداء والليــلُ مقمــر

58-وقلن أهـذا دأبـك الـدهر سـادراً أمــا تَــستحي أو تَرعــوي أو تُفكــر

59-إذا جئتَ فامنح طرفَ عينيك غيرنـا لكي يحسبوا أن الهـوى حيـثُ تنظُـر

60-فآخر عهد لي بها حـين أعرضـتْ ولاح لهــا خــد نقــي ومحجــر

61-سوى أنني قد قلـتُ، يـانُعم، قولـةً لهــا والعتــاقُ الأرحبيــاتُ تُزجــر

62-هنيئاً لأهل العامرية نـشرها اللـ ـــذيذُ ورياهــا الــذي أتــذكر

المفردات

1- غاد: سائر غدوة، مبكر: سائر بكرة، الرائح: السائر في الـرواح أي العـشية، المهجر: السائر في الهاجرة وهي وقت شدة الحر.

2- تُعذر: تنفي العذر.

3- مقصر: من أقصر عن الشئ إذا كف عنه وامتنع.

4- نأيها يسلي: بعدها ينسي.

5- وأخرى: أي وعقبة أخرى، النهى: العقل، ترعوي: ترجع عن غيك.

6- يتنمر: يثور ويغضب.

7- يسر لي الشحناء: يضمر لي الحقد.

8- ألكني بالسلام: أوصل السلام، يشهر: يذاع، ينكر: يستنكر.

9- مدفع أكنان: اسم موضع.

10- المدرى: المشط.

11- أطريت نعتاً: أحسنت الثناء والوصف.

12- السرى: السير ليلاً، التهجر: السير في الهاجرة عند اشتداد الحر.

13- حال: تغير.

14- عارضت: قابلت، يضحى: يسير في الضحى، يخصر: يبرد.

15- جواب أرض: أي يجتاز الأرض وينتقل من مكان الى آخر، فلوات: جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة، أشعث: متلبد الشعر لطول عهده بالغسل، أغبر: في لـون وجهه غبرة.

16- المطية: كل ما يمتطى ويركب، الرداء المحبر: الثوب المزين.

17- ظل غرفة: ظل قصر تسكنه، ريان: أي بستان أخضر.

18- والٍ: زوج.

19- ذي دوران: اسم موضع، جشمتني: كلفتني، المغرر: الـذي يعـرض نفـسه للهلاك.

20- شفاً: حرف كل شئ وحده، وبت على شفاً: على حذر، يطوف: يتنقل.

21- اللبانة: الحاجة، أوعر: شديد الخشونة.

22- قلوصي: ناقتي الفتية، العراء: الفضاء، رحلها: حملها، طارق ليل: سائر ليلاً، معور: ظاهر.

23- المصدر: الرجوع.

24- الريا: الرائحة الطيبة.

25- فقدت الصوت: أي سكن الحي، شُبت: أوقدت، أنور: جمع نار.

26- قمير: تصغير قمر، روح رعيان: عاد الرعيان مساء بمواشيهم، نوم سمر: نام الساهرون.

27- الحباب: الحية، ركني: جسمي، أزور: مائل.

28- تولهت: صرخت بوله وحسرة.

29- عضت بالبنان: عضت على إصبعها، ميسور أمرك أعـسر: أي أن الأمـور اليسيرة عندك هي من أعسر ا لأمور.

30- أريتك: أخبرني، هنا عليك: سهلنا عليك، وقيت: وقاك ا ، حضر: حاضرون.

31- سرت بك: جعلتك تسير ليلاً.

32- ما عين من الناس تنظر: أي لم يرني أحد.

33- لانت: هدأت، أفرخ روعها: خف قلقها وارتاحت، كلاك: حفظك.

34- أبا الخطاب: كنية عمر، غير مدافع: غير مزاحم، ما مكثت: مـدة مكوثـك، مؤمر: لك الامر.

38- يمج: يبعث،الثنايا: أسنان مقدم الفم، الغروب: ماء الثغر وبريقه، مؤشر: محزز الأسنان.

39- تفتر عنه: تبتسم، حصى برد: حبوب البرد.

40- ترنو: تنظر، الخميلة: الموضع الكثير الشجر، الجؤذر: ولد البقرة الوحشية.

41- توالي نجمه: بقية نجومه، تتغور: تغور وتختفي.

42- هبوب: يقظة من النوم، عزور: جبل بين مكة والمدينة.

43- راعني: أخافني، ترحلوا: هلموا الى الرحيل، أشقر: منور بالشمس.

45- أباديهم: أظهر لهم وأجاهرهم بالعدوان، أفوتهم: أنجو منهم، فيثأر: يثـأر لهـم مني.

46- الكاشح: المبغض، يؤثر: ينقل.

49- ترحبا: تتسعا، أحصر: أضيق، أي أضيق به صدراً.

50- كئيباً: مغمومة، ليس في وجهها دم: صفراء، تذري: تسكب، عبـرة: دمعـة، تتحدر: تتساقط.

52- الأمر للأمر يقدر: يهيأ، ويدبر.

53- أقلي: خففي، الخطب أيسر: الأمر أسهل.

54- المطرف: رداء موشى، الدرع: قميص المرأة، البرد: ثوب مخطط.

55- يفشو: يشيع ويفتضح.

56- مجني: ترسي، شخوص: أشخاص، كاعبان: مثنى كاعب وهي الفتاة التي نهد ثديها أي الفتاة في أول البلوغ، معصر: المرأة البالغة الشابة.

57- أجزنا: قطعنا.

58- دأبك: ما تدأب عليه وتثابر، سادراً: غير مهتم بما يصنع، ترعوي: ترجع عن غيك.

59-امنح طرف عينيك غيرنا: أي تظاهر بأنك تقصد غيرنا.

61- العتاق: الكريمة الأصيلة، الأرحبيات: الإبل المنسوبة الى أرحب.

62- النشر: رائحة الفم، الريا: الرائحة الطيبة.

الأبيات 1-5:

يسائل الشاعر نفسه قائلاً لها: أإلى حي آل نُعمٍ تغدو مبكـراً أو تـروح فـي الهاجرة، بسبب حاجة في نفسك تكتمها عن الناس ولو كنت بحت بها لأقمت عـذراً لنفسك. وأنت تحن وجداً الى نعم فلا شملك مجموع بها، ولا أنت تكف عن حبهـا. وقرب نعم غير نافع لك لأنها مع جماعتها، وكذلك بعدها لم يجعلك تنساها، ولا أنت تستطيع الصبر عنها. وهناك عقبة أخرى تحول دون الوصول الى نعم، ويتمنى على من يمنعون ذلك لو يعودوا عن غيهم ويسمحوا باللقاء.

الأبيات 6-18:

ثم يذكر الشاعر أنه إذا زار نُعماً يعبس أقاربها في وجهه، لأنه يصعب عليهم أن ينزل ببيتها، هم يضمرون له البغضاء ويظهرونها. ولذلك فهو يطلب من رسوله أن يحمل رسالته إليها، لأنه زيارته لها تُستنكر وتُستغرب. ويطلب من الرسـول أن يجعل علامة صدق رسالته إليها أن يذكرها بقولها حين رأته فـي (مـدفع أكنـان) مخاطبة أختها وقد أشارت إليه بمشط كان في يدها: أهذا الـذائع الـصيت ؟ أهـذا المغيري المشهور؟ أهذا الذي بالغت في وصفه حتى اشتقت للقائه ولم أكـن أنـساه حتى أموت؟ فقالت أختها: نعم، ولكن لا شك أن كثرة أسفاره في الليل والهاجرة هي التي غيرت لونه، فقد تغير حاله عما كنا نعهده عليه. فقد رأت رجلاً لا يـستقر لـه مكان، فهو يظهر للشمس ويبرز إذا توسطت السماء، وفي الليل يبرد بـسيره فيـه. رجل قضى عمره مسافراً يجوب الصحارى حتى أضناه الـسير والـسهر فأصـبح متفرق الشعر، مغبر الوجه لا يركن الى الراحة والدعة. لا يظله شئ علـى ظهـر المطية من الحر والبرد إلا ما يوفره له ثوبه المزين. وهي مقيمة فـي بيتهـا بـين أشجار وارفة الظلال خضراء. يكفيها زوجها أو القائم على أمورها مؤونة الحيـاة، ويوفر لها كل احتياجاتها فلا تهتم لشئ.

الأبيات 19-40:

ثم يروي مغامرته ليلة ذي دوران، حين تجشم عناء المشي ليلاً ليصل الـى محبوبته، حتى إذا شارف على مضاربها بات مراقباً للقوم محاذراً من يـأتي مـنهم ويذهب، ومنتظراً أن يخلدوا الى النوم، وهو في موقع وعر ما كان ليحتمل مقامـه فيه لولا حاجة نفسه. وبات مع ناقته الفتية في موقع واضح لمن يأتي فـي الليـل أو يمر به.

وأخذ الشاعر يتساءل بينه وبين نفسه عن خيمة محبوبته وكيف يستدل عليها، إلا أن رائحة عطرها المميزة دلت قلبه على مكانها، كما أن هواه قد دله عليها دون أن يشعر. ولما خفتت أصوات القوم، وأطفئت الأنوار تأهباً للنوم، وغـاب القمـر، وعاد الرعيان بالأغنام الى الخيام، ونام السمار، حين حدث كل ذلك انسل الـشاعر من مخبئه كما تنسل الأفعى، ومشى مائلاً حتى لا يتنبه اليه أحد من القوم. ثم فأجـأ الشاعر حبيبته بالسلام، فأظهرت الحزن، وعضت على أصبعها قائلة: لقد فضحتني، وأنت رجل أيسر أمورك صعب وعسير، ألم تخف من أعدائك المحيطين بي ؟ فهل حاجة عاجلة أتت بك رغم وجود الأعداء، أم أنك أمنت منهم لأنهم نائمون؟ فطمأنها أن أحداً لم يشعر بقدومه إليها، وهنا هدأت نفسها، ودعت لـه أن يحفظـه ا مـن أعدائه، وأسلمت قيادها له، وجعلت له الأمر عليها طول مكوثه معها.

ثم يقص علينا الشاعر كيف بات قرير العين وقد نال حاجته مـن محبوبتـه، وبات يقبل فاها، حتى شعر أن الليل قصير، وكانت لياليه طويلة قبل ذلـك. وبـات فمها الجميل ذو الثنايا البراقة المحززة التي تشبه البرد، بات يفوح بالرائحة الطيبـة التي تشبه ريح المسك. وهي ترنو إليه بعينين جميلتين تـشبه عينـي ابـن البقـرة الوحشية.

الأبيات 41-56:

ولما كاد الليل أن ينقضي، وكادت نجومه أن تغور، أشارت إليه محبوبته بأن موعد استيقاظ القوم قد حان، وأن عليه أن ينصرف الآن وأعطته موعداً للقاء فـي (عزور). وبينما هما كذلك إذ صاح منادي القوم بالرحيل، وقد بدأ ضـوء الـصبح

يلوح في الأفق. وهنا سألته محبوبته عن رأيه في الأمر، فقد تنبه القوم من نـومهم، وسوف يفتضح أمرهما إن رأوه. فقال لها الشاعر: أرى أن أظهر لهم وأواجههم فإما أنجو منهم، وإما أن يأخذوا ثأرهم مني. إلا أنها اعترضـت عليـه قائلـة إن هـذا التصرف سوف يؤدي الى افتضاح أمرها وإلى أن تصدق أقوال الـذين يبغـضونها ويروجون عنها الإشاعات. وقالت له إن هناك رأياً آخر يبقي أمرهما سراً، وهو أن تستشير أختيها في الأمر وتطلب منهما مساعدتهما في حل هذه المعضلة التي ضاقت بها صدراً، ولم تدر كيف تتصرف بشأنها. ثم قامت ووجها أصـفر مـن الحـزن، وعيناها تدمعان. فجاءت فتاتان عليهما لباس من الحرير، فقصت عليهما ما هما فيه، وطلبت معونتهما لهذا الزائر، فخافتا في البداية ثم أخذتا تهدآن من روعها، وتقولان لها إن الأمر أيسر مما تظن. واقترحت الأخت الصغرى أن تعطي الشاعر قميصها ورداءها ليتنكر فيهما، ويخرج ماشياً بينهم فلا يتنبه إليه أحد. وهكذا كان، وخـرج الشاعر يمشي بين ثلاثة أشخاص، كن له ترساً ووقاية ممن يخافه ويخـشاه، وهـن فتاتان كاعبان، وامرأة شابة.

الأبيات 57-62:

فلما تجاوزن به ساحة الحي، وأصبحوا بمنأى عن عيون القوم، أخذن يلمنـه ويعنفنه قائلات له: ألم تخف من الأعداء في هذه الليلة المقمرة ؟ أهذه عادتك دائماً لا تهتم ولا تبالي بما تصنع ؟ أما تستحي أو تعود عن غيك أو تفكر في عواقب الأمور ؟ وطلبن منه إذا قدم مرة أخرى أن يوجه نظره الى غيـرهم حتـى يظـن أنـه لا يقصدهم. وهكذا كان آخر عهده بمحبوبته نُعم حين تركته منصرفة، إلا إنه استوقفها قائلاً لها، بينما كانت الإبل المنسوبة الى أرحب تُحرك للرحيل: هنيئاً لأهلـك أيتهـا العامرية ما يجدونه من طيب رائحتك الذكية التي لا أنساها أبداً.

الدراسة والتحليل

1- المضمون

أ- الأفكار والمعاني:

لقد بنى الشاعر قصيدته ورتبها ترتيباً منطقياً متسلسلاً، وتحققت في هذه القصيدة الوحدة العضوية، حتى أنه ليصعب أحياناً تقديم بيت على بيت. فقد بدأ الشاعر قصيدته بالحديث عن حبه لنُعم وهيامه بها، وعدم استطاعته نسيانها رغم بعدها عنه، كما أن قربها منه لم ينفعه لأن جماعتها محيطة بها. وذكر كيف أنه إذا زارها أظهر له أقاربها الغضب، وأسروا له البغضاء.

ثم يطلب من رسوله أن يحمل رسالته إليها، ويجعل علامة صدقه، الحوار الذي دار بينهما حين تقابلا للمرة الأولى في (مدفع أكنان)، وكيف كان أشعث أغبر من أثر السفر في أعقاب من يحب. وكل هذا يعد مقدمة لموضوع القصيدة، وهو وصف مغامرته لزيارة محبوبته نُعم.

ثم يصل الشاعر الى موضوع القصيدة، ويبدأ في سرد وقائع ما جرى له ليلة ذي دوران. وهنا تبدأ القصة بمقدمة، ووسط، ونهاية، وعقدة وحل، متحققة فيها معظم شروط القصة القصيرة بمفهومها المعاصر. وفي هذه القطعة يصعب تقديم بيت على آخر، إذ الأحداث متسلسلة والوقائع مترابطة. وتنساب الأبيات في سلاسة وتحدر، يخلو من التعقيد والغموض.

ويعد الشاعر مبتكراً في الأسلوب القصصي إذ إنه توسع فيه، وأكثر منه في شعره. وإن كان امرؤ القيس قد سبقه الى استخدام أسلوب الحوار، إلا إن لعمر بصماته الخاصة على هذا الأسلوب حيث توسع فيه وأكثر منه وطوره. ومن مظاهر الجدة والابتكار تحقق معظم مقومات القصة القصيرة، في القصيدة.

فقد بدأ الشاعر قصته بمقدمة رائعة، وصف فيها كمونه في مكان صعب، يراقب من خلاله القوم منتظراً أن يخلدوا للنوم، ووصف كيف استدل على خبائها متتبعاً رائحة عطرها المميزة. ثم وصف كيف انتظر حتى هدأ الصوت وغاب القمر، وآب الرعيان، وأخلد القوم للنوم.

ثم تبدأ أحداث القصة حين فاجأ محبوبته بالسلام، وكيف خافت إذ رأته من أن يفتضح أمرهما، وكيف بات قرير العين معها حتى كاد الصبح أن يبزغ.

ثم تصل العقدة إلى ذروتها حين انتبه القوم مـن النـوم، ونـادى منـاديهم بالرحيل، وهنا اسقط في يدي المحبوبة، ولم تدر كيف تتصرف، وأشار هو أن يناجز القوم فإما نجا وإما قُتل.

وأخيراً يأتي الحل من الأخت الصغرى ممثلاً في أن يتنكر الشاعر في ثياب امرأة، ويخرج بين الأخوات حتى يغادر الحي في أمان. وهكذا نـرى أن شـروط القصة القصيرة بمفهومها المعاصر قد تحققت تحققاً كاملاً تقريباً في هـذه القـصة الشعرية، مما يعد من عوامل الابتكار والجدة في القصيدة.

والأبيات سهلة واضحة، تنساب في سلاسة، وتخلو من الغمـوض والتعقيـد. والقصيدة تعتمد على الخيال كثيراً. ورغم أن الشاعر حاول أن يقنعنا بـأن أحـداث قصته كلها قد جرت على مسرح الواقع، فإننا لا نستطيع الجزم أن أحـداثها كلهـا حقيقية. ولكن لابد لنا من الاعتراف بقدرة الشاعر على إسباغ طابع الواقعية علـى القصة. فقد شرح الشاعر بالتفصيل خطوات القصة ومراحلها، وأجاب عن كثير من الاستفسارات التي قد تمثل ثغرات في جدار القصة، مثل: كيف استدل علـى خبـاء محبوبته؟ فأجاب بأن رائحة عطرها المميزة بالإضافة الى هواه هما اللذان دلاه على مكانها:

فدل عليها القلب ريا عرفتُها لها وهوى النفس الذي كاد يظهر

ويبدو أثر الإسلام واضحاً في القصيدة في سلاسة ألفاظها، إذ ابتعـدت عـن الألفاظ الوحشية الغريبة الشائعة في القصيدة الجاهلية. كما يبدو أثر الإسـلام فـي بعض الألفاظ التي اكتسبت دلالات خاصة في الإسلام مثل قوله:

كلاك بحفظ ربك المتكبر

فالمتكبر من أسماء ا   الحسنى التي لم تكن معروفة في الجاهلية. كما يظهـر أثـر الإسلام في بعض الخصال التي أمر بها الإسلام وحث عليها، مثل ضـرورة إلقـاء السلام عند اللقاء، وذلك في قوله:

فحييتُ إذ فاجأتها

ومثل أن الزوج هو الذي يتحمل أعباء الحياة فلا يكلف زوجته أي عناء، وذلك فـي قوله:

ووالٍ كفاها كل شئ يهمها.

وفي القصيدة كذلك إشارات الى العادات الإسلامية التي تمنـع الرجـل مـن الدخول على النساء، وكيف دخل الشاعر خلسة وخرج متخفياً حتى لا يلحظه القوم، وكيف أن خروجه متنكراً في زي النساء حماه من القوم، وذلك أن الرجال يغـضون أبصارهم عن النساء وبالتالي لم يفطنوا إليه وهو يمشي متنكراً بين الفتيات الثلاث.

ب - الدلالات النفسية:

تتغير الدلالات النفسية في القصيدة بتغير الحالات التي تحكيها الأبيات. ففـي مطلع القصيدة تبدو عاطفة الحزن مسيطرة على الشاعر وهو يحكي حبه لنُعمٍ وعدم استطاعته نسيانها أو بلوغ حاجته منها، حتى أصبح أشعث أغبر لطول سفره وتنقله متتبعاً لها باحثاً عنها. وتتلاءم الألفاظ مع هذه الحالة، فنجد ألفاظاً تدل علـى هـذا الحب اليائس مثل: تهيم، الشمل جامع، الحبل موصول، القلب مقصر، نأيها يـسلي، أنت تصبر..الخ.

كما نجد ألفاظاً تدل على قلقه وترحاله بحثاً عمن يحب، مثل: غـاد، مبكـر، رائح، مهجر، سرى الليل، التهجر، يضحى، يخصر، أشعث، أغبر..الخ.

وحين يبدأ الشاعر في وصف مغامرته ليلة ذي دوران، نجـد فـي البدايـة مشاعر الحذر واليقظة وهو يقف على مشارف الخيام ينتظر خلـود القـوم للنـوم. وتتلاءم الألفاظ مع هذه الحالة الحذرة مثل: رقيباً، على شفا، أحاذر، أنظـر إلـيهم، متى يستمكن النوم منهم.. الخ.

كما نجح الشاعر في وصف قلقه ولهفته لرؤية من يحب، حيث أخذ يتـساءل عن خبائها، وكيف يستدل عليه، وكيف يصل إليها؟ وكيف دله قلبـه علـى مكانهـا وساعدته رائحة عطرها المميزة على ذلك. ثم كيف انساب إليها بعد ما نام القوم كما تنساب الأفعى.

وحين التقى بمحبوبته أصبحت مشاعره مشاعر فرحٍ وسعادة، حيث استجابت حبيبته له، وأنالته ما يطلب، فبات قرير العين، يقبل فاها فيكثـر، حتـى أن الليـل انقضى بسرعة دون أن يشعر بمروره، لولا أن نبهته محبوبته الى انقـضاء الليـل وحلول موعد استيقاظ القوم.

وحين استيقظ القوم حلت مشاعر الخوف والقلـق والخـشية مـن افتـضاح أمرهما. وقد تظاهر الشاعر بالشجاعة، وطلب من محبوبته أن تسمح لـه بمنـاجزة القوم والظهور لهم، وليكن ما يكون. ولكن هذا الرأي لم يلق ترحيباً من نُعمٍ، وكـان الشاعر على يقين من أنها لن تقبل بهذا الحل خوفاً من افتضاح أمرها، وإنما كـان يهدف إلى أن يبدو أمامها في صورة الشجاع الفارس. وقد نجح الشاعر في تصوير

مشاعر القلق على المحبوبة، كما في قوله: بما كنت أحصر، فقامت كئيباً ليس فـي وجهها دم، تُذري عبرة تتحدر.

وحين اجتازوا الحي، ونجا الشاعرمن القوم، ونجت محبوبته من الفـضيحة، تغيرت المشاعر والحالة النفسية للفتيات الثلاث، فأخذن يلمنه ويعنفنه. وهـذه حالـة طبيعية لمن ينجو من مأزق بعد أن ظن أنه لن ينجو، فإنه يتوجه باللوم والتقريع لمن تسبب في هذا المأزق. وهنا نجد العاطفة عاطفة ثورة وغضب على الـشاعر، وإن كانت هذه الثورة مغلفة بالسرور والرضى، فلم يكن عتاب الفتيات للشاعر لكـي لا يكرر ما حدث منه، بل لكي يكون أكثر حيطة في المرة القادمة. ولهذا طلبن منه إذا قدم مرة أخرة أن يتوجه ببصره الى غيرهن حتى يظن أنه لا يقصدهن.

ولسعادة الشاعر بهذه الزيارة أو بالأحرى بهذه المغامرة، فإنه دونها وخلدها في شعر يتلى ويردد على طول الزمن. والقصيدة تعبر خير تعبير عن مذهب عمر بن أبي ربيعة اللاهي الذي لا يبالي ما يلقى في سبيل بلوغ لذاته، ولقاء من يحـب. كما تصور القصيدة عشق عمر الحسي، فهو لم يتحدث عن محبوبته حديث العاشـق الولهان، وإنما تحدث عن الصعاب التي واجهها في سبيل وصوله إليها. وحين لقيها لم يكن همه إلا أن يقبلها فيكثر. وكذلك حين غادرها لم يتذكر منها إلا طيب أنفاسها ونشرها اللذيذ. والمرأة عنده مجرد نهد وشهوة "كاعبان ومعصر" فالكاعب هي الفتاة في أول البلوغ حين ينهد ويكعب ثديها، والمعصر الشابة قال ابن الأثير: المعـصر الجارية أول ما تحيض لانْعصار رحمها[9].

وقد استطاع عمر أن يصور هذه المغامرة تـصويراً رائعـاً، وأن يـصور عواطفه خلال أحداثها تصويراً ممتعاً جميلاً. وتبدو عواطفه فيها صادقة حارة، حيث أحسن تصوير شوقه ولهفته للقاء نُعمٍ، وكيف تجشم الصعاب حتى يلقاها.

---

9 - لسان العرب مادة (عصر)

جـ - الدلالات الاجتماعية:

القصيدة غنية بالدلالات الاجتماعية، ففضلاً عن أن القصيدة تـصور الحيـاة الاجتماعية اللاهية التي كان يحياها الشاعر، التي ولاشك تصدق على كثيـر مـن شعراء ذلك العصر، فضلاً عن ذلك فإن القـصيدة تـصور كثيـراً مـن العـادات الاجتماعية المنتشرة في البيئة العربية في عصر عمر بن أبي ربيعة.

أما مذهب عمر ومن على شاكلته، فهو تعقب من يهوى، حتى يختلس لحظـة في غفلة عن أعين الرقباء يلقى فيها من يحب، فينال منها ما يشاء. وقد كان أسلوب تبادل الرسائل شائعاً بين المتحابين:

ألكني إليها بالسلام

وتزويد الرسول بعلامة يستدل بها على صدق قوله، وغالباً ما تكون حواراً أو حكاية جرت بين المتحابين لم يعلم بها سواهما:

بآية ما قالت غداة لقيتُها

وأما عادات المجتمع العربي آنذاك، فإن أول ما يواجهنا في القصيدة من هذه العادات، هو الغيرة على المحارم. فالعربي لا يقبل لنسائه أن يلقين الأغراب، وهكذا فإن أقارب نُعمٍ، لا يقابلون الشاعر بالترحاب حين يرونه يجوس خلال ديارهم لعلمهم بغرضه في انتهاك محارمهم:

إذا زرتُ نُعماً لم يزل ذو قرابة لها كلما لاقيتُه يتنمر

والتعبير بالتنمر، هو أقصى تعبير عن العدوانية والاستعداد للبطش، تشبهاً له بالنمر.

وأما المرأة العربية في ذلك العصر، فقد صورتها القصيدة بصورة المترفـة المنعمة. فهي تعيش في ظل "والٍ كفاها كل شئ يهمها"، ولذلك فلا يشغل بالهـا إلا الاهتمام بزينتها، فالمشط لا يكاد يفارق يدها:

أشارت بمدراها

ولباسها هو الخز والدمقس:

كساءان من خز دمقس وأخضر

وعطرها مميز ومبالغ فيه، حتى إن الشاعر ليجعل منه دلـيلاً يقـوده الـى خبـاء محبوبته، المختفية بين الخيام:

فدل عليها القلب ريا عرفتُها

ولا حديث لهؤلاء الفتيات إلا عن الشباب المشهورين بجمالهم ووسامتهم:

أهذا الذي أطريت نعتاً فلم أكن وعيشك أنساه إلى يوم ُأقبر؟

وهذه الفتاة لا هم لها إلا أن تلقى من تحب، ولا ترى في ذلك بأساً، إلا أنها تخـاف أن يراها أحد من أقاربها. ولذلك حين طمأنها الشاعر أنه قدم إليها "وما نفـس مـن الناس تشعر"، فإنها "لانت وأفرخ روعها". وإذ لم يطلع على سرها أحد، فلا شئ في أن تلقى من تهوى وأن تنيله من نفسها ما يشاء:

فبت قرير العين ُأعطيتُ حاجتي أقبل فاها في الخلاء فأكثر

ولاحرج أيضاً من أن تطلع الفتاة أخواتها على سرها وعشقها، ويتعاون بعد ذلك في حل المشكلة، كما حدث بين نُعم وأختيها اللتين دبرتا للشاعر حيلة يخرج بهـا مـن الحي دون أن يفطن إليه أحد.

ومن العادات العربية الأخرى إتخاذ الناقـة وسـيلة للمواصـلات "وبانـت قلوصي"، وأن الأرحبيات هي أحسنُها وأشهرها. وكذلك ذكر بعض الملابس التـي كان يلبسها الرجال: "الرداء المحبـر"، وذكـر ملابـس النـساء وأدوات زينتهـا: "المطرف، والدرع، والبرد، والمدرى". كما ورد ذكر بعض الحيوانات المعروفة في البيئة العربية الصحراوية مثل الأفاعي: "مشية الحباب"، و"الظبية" و"الجؤذر". وكذلك وصف بعض الأدوات التي كانت تُستخدم في الحرب، وهو المجن:

فكان مجني دون من كنت أتقي

كذلك هناك ذكر لبعض المواقع والأمـاكن، مثـل "ذي دوران"، و"مـدفع أكنـان"، و"عزور".

ومن العادات العربية الأخرى، مخاطبة الرجل بكنيته: "فأنت أبا الخطّـابِ"، ومخاطبة المرأة بقبيلتها: "هنيئاً لأهل العامرية نشرها". وكذلك عض الأصـبع عنـد الندم ووقوع المصيبة: "وعضت بالبنانِ".

ومن العادات العربية الخاصة بالسفر والترحال، اسـتخدام الخيـام للراحـة والتوقف أثناء السفر: "أين خباؤها". وكذلك التبكير بالسير قبـل طلـوع الـشمس، والمناداة بالرحيل:

فما راعني إلا مناد: ترحلوا   وقد لاح معروفٌ من الصبح أشقر

وكذلك اصطحاب الأغنام في السفر:

وروح رعيان

2- الشكل

أ- الألفاظ :

زاوج الشاعر بين استخدام الأسماء والأفعال، وقد تغلب الأفعال على بعـض الأبيات بينما تغلب الأسماء على أبيات أخرى. وقد أدت كل من الأسماء والأفعـال وظيفتها، فعبرت الأسماء عن الاستمرارية والعادة، كما في قوله: غاد، مبكر، رائح، مهجر، سرى الليل، التهجر..الخ. كذلك جاءت الأفعال مناسبة للـسرد القصـصي، ووصف المغامرة: بت، أحاذر، أناجي، دل، غاب ..الخ.

وقد جاءت الألفاظ مطابقة لمعانيها مطابقة تامة. فقد نجح الشاعر في اختيـار الألفاظ التي تناسب المعاني التي أرادها. فحين أراد الحديث عن معاناته وتنقله خلف محبوبته، جاءت الألفاظ مناسبة للمعنى ومطابقة له. فمن ذلك قولـه: غـاد، مبكـر، مهجر، سرى الليل، التهجر، أشعث، أغبر، أخا سفرٍ، جـواب أرض، تقاذفـت بـه فلواتٌ.. الخ.

كذلك حين تحدث عن معاني الحذر والحيطة وهويراقب نوم القـوم، جـاءت الألفاظ مناسبة لهذه المعاني، مثل: أحاذر، رقيباً، بالعراء، فقدتُ الـصوت، غـاب قمير، روّح رعيان، نوم سمر..الخ.

وكذلك مشاعر السعادة وهويلقى محبوبته جاءت الألفاظ مناسبة لها، مثل: بت قرير العين، أقبل، تقاصر طوله..الخ. وأخيراً فقد جاءت الألفـاظ مناسـبة لمعـاني الخوف والقلق حين هب القوم من نومهم وكاد أمرهما أن يفتضح: راعنـي، كئيبـاً، ليس في وجهها دم، تُذري عبرة.. الخ.

وقد وفق الشاعر الى استخدام الألفاظ ذات الدلالات المناسبة للحالة الشعورية للشاعر. فحين وصف الشاعر تنقله وترحاله، استخدم ألفاظاً موحية مثـل: "جـواب أرض"، فقد استخدم الشاعر هنا صيغة المبالغة للإيحاء بكثـرة ترحالـه وأسـفاره، وكذلك قوله: "أخا سفر"، فإنها توحي بالملازمة للسفر. وكـذلك قولـه: "يـضحى، ويخصر"، فإنهما توحيان بتتابع السفر ليلاً ونهاراً.

وحين وصف الشاعر خروجه من الحي متنكراً في زي امرأة، وهو يمـشي خلف الفتيات الثلاث، وصف الفتيات بالمجن، وهو وصف فيه كثيـر مـن الدلالـة

والإيحاء. فقد كان الشاعر في حالة حرب مع أعدائه "الحضر"، فكان ذكر المجـن، وهو الترس الذي تُتقى به الطعنات في القتال، مناسباً للمقام. وكذلك الإشـارة الـى الأختين بكلمة: كاعبان وهي مثنى كاعب والكاعب الفتاة التي كعب نهداها، فيها كثير من الدلالة والمشابهة لكلمة "مجن". فالصدر الناهد الذي يسير أمام الشاعر، ليحميـه من أعين القوم، يشبه الى حد كبير الترس البارز أمام صدر الفارس.

كما نجح الشاعر في اختيار الألفاظ التي تخلق مشهداً في ذهن السامع، وذلك حين وصف ترقبه لنوم القوم، ومحاذرته أن يروه. فقد جاءت الألفاظ غنية بالصور النابضة الحية، حتى كأننا نشهد مع الشاعر ما هو فيه. فمن ذلك قوله:

فلما فقدتُ الصوت مـنهم وأُطفئـتْ   مـصابيح شُـبت بالعـشي وأنـور
وغاب قُمير كنـت أهـوى غيوبـه   وروح رعيـان ونـوم سـمر

فإننا نكاد نرى المشهد ماثلاً أمامنا، فقد أُطفئت الأنوار، وخفقت الأصـوات، وعـاد الرعيان، ونام السمار، كل ذلك في تتابع يجعل المشهد يتحرك أمامنا ويتطور.

كما أورد الشاعر كثيراً من الألفاظ المحاكية للمعنى، حتى أن كل حرف منها يخال جزءاً من المعنى المراد، مثل قوله: "يتنمر". فلفظة: يتنمر، لا تدل على التشبيه بالنمر فحسب، ولكنها تجعلنا نكاد نرى النمر أمامنا، وقد كشر عن أنيابه، واسـتعد للوثوب على فريسته.

ولقد أتت الألفاظ في مجملها سلسة سهلة، لا تكلف فيهـا ولا غريـب، وإن كانت لا تخلو من جزالة وتمكن من زمام اللغة. فمن الألفاظ الجزلة قولـه: ألكنـي، يخصر، اللبانة، معور، أنور، أفرخ روعها، يمج، غروب، مؤشر، كاشح، كـلاك.. الخ.

ويغلب على ألفاظ القصيدة الطابع الحضري، فالألفاظ مناسبة للحضارة، مثل الملابس الجميلة: الرداء المحبر، الخز، والدمقس. وكـذلك أدوات الزينـة، مثـل: المدرى، والعطور النفاذة: "ريا عرفتُها". وإن كانت القصيدة لم تخـلُ مـن بعـض الألفاظ البدوية، مثل: الفلوات، الحباب، الظبية، الجؤذر، الرعيان..الخ. ولكن هـذه

الألفاظ أتت في ثوب جديد قشيب، مناسبة للمقـام، وذات دلالات وإيحـاءات كمـا أشرنا، ولم تأت تقليلادية مبتذلة.

وقد قل الاقتباس من القرآن الكريم في القصيدة، فلا نكاد نجد ذلـك إلا فـي قوله: "ربك المتكبر"، ففيه إشارة الى اسم من أسماء ا الحسنى التـي وردت فـي القرآن. أما الحديث الشريف فلا نجد أي اقتباس منه.

كذلك وردت بعض العبارات في القصيدة أطلقها الشاعر كالمثل السائر، ولكن لا نستطيع الجزم إن كانت من الأمثال المتداولة المعروفة آنذاك، أم أن الشاعر قـد أتى بها بصيغته الخاصة. فمن ذلك قوله: "والمقالة تُعذر"، وقولـه: "والإنـسان قـد يتغير"، وقوله: "أنت امرؤ ميسور أمرك أعسر".

وجاءت المحسنات البديعية في القصيدة عفو الخاطر دون تكلـف أو تعمـد، فأدت دورها في إبراز المعنى وتأكيده. فالتصريع في البيت الأول جاء طبيعيـاً دون تكلف، وقد أدى إلى تأكيد المعنى باستخدام كلمتي: مبكر، مهجر، بما فيهما من طباق يزيد المعنى تأكيداً ووضوحاً.

كذلك ورد الطباق في قوله: قرب نُعمٍ، ونأيها، وفي قولـه: يـسر، مظهـر، وقوله: يضحى، ويخصر، وقوله: مخفوض، وتجهر، وقوله: ميسور، وأعـسر، .. الخ وكلها جاءت طبيعية دون تكلف، مما أكد المعنى، وأبرزه، وزاده وضوحاً.

أما الجناس فلم يكثر منه الشاعر، وما ورد منه جاء عفو الخاطر دون تكلف، مما ساعد على تأكيد المعنى وإبرازه. فمن ذلك قوله: نهى ذا النُهى، وقوله: بالعراء، ومعور.

ب- التراكيب:

زاوج الشاعر في استخدامه للجملة الإسمية والفعلية، وذلك طبقاً للمعنى الذي يريد تأكيده. فحين تحدث الشاعر عن طول أسفاره وترحاله، أكثـر مـن اسـتخدام الجملة الإسمية للدلالة على الاستمرارية والملازمة، مثل قوله: غاد، مبكر، رائـح، مهجر، أخا سفر، جواب أرضٍ، قليل على ظهر المطية ظله.

كما استخدم الجمل الفعلية للدلالة على المبالغة، مثل قولـه: تهـيم، يـسلي، تصبر، يتنمر، يضحى، يخصر... الخ. وكذلك للدلالة على الوصف، والسرد، مثـل قوله: زرتُ، رأت رجلاً، دل عليها القلب، بت أناجي، فقدتُ الصوت، ُأطفئت..الخ. ولهذا فقد غلبت الجملة الفعلية عند حديث الشاعر عن مغامرته وزيارته لمن يحـب. وهو ما استغرق معظم القصيدة.

كذلك زاوج الشاعر بين الأسلوبين الخبري والإنشائي في قـصيدته، ووردت الأساليب الإنشائية مناسبة للمقام ولموضوع القصيدة. فقـد بـدأ الـشاعر قـصيدته بالاستفهام، قائلاً: أمن آل نُعمٍ.. وهو سؤال تقريري الغرض البلاغـي منـه لـيس الاستفهام بل التأكيد والتقرير. كما ورد الاستفهام لأغراض مختلفة، وذلك في كثيـر من الحوارات التي دارت في القصيدة.

فقد ورد الاستفهام لغرض الاستنكار، كما في قول نُعم لأختها: أهذا المشَهر؟ أهذا المغيري؟ أهذا الذي أطريت؟ وفي تكرار التساؤل دليل على الاسـتنكار، ممـا أبرز المعنى الذي أراد الشاعر التأكيد عليه، وهو تغير حالتـه وهيئتـه. كمـا ورد الاستفهام لغرض الاستنكار في قوله على لسان نُعمٍ: ألم تخف؟ أتحقيقـاً لمـا قـال كاشح؟ كذلك ورد الاستفهام لغرض التوبيخ والتأنيب، كما في قول الفتيات له: ألـم تتق الأعداء؟ أهذا دأبك الدهر سادراً؟ أما تستحي أو ترعوي أو تفكر؟

وورد الاستفهام بصيغته الاستفهامية، كما في قوله: أين خباؤها؟ كيف لما آتي من الأمر مصدر؟ أتعجيل حاجة سرت بك؟ كيف تأمر؟ .. الخ

أما الأمر فلم يرد إلا قليلاً، كما في قوله: ألكني إليها بالسلام، وقولـه علـى لسان نُعمٍ: أشر كيف تأمر؟ أعينا على زائر، أقلي عليك اللوم، وقد ورد في كل تلك المواضع مناسباً للسياق.

وأما النداء فلم يرد إلا في قول نُعم مخاطبة الشاعر: "فأنت أبـا الخطـاب"، وقوله مخاطباً إياها في آخر القصيدة: "يا نُعم قولةً". وأما التعجب فقد ورد في موقعه المناسب، حين وصف الشاعر ليلته في أحضان من يحب: "فيالك من ليـل تقاصـر طوله!" "ويا لك من ملهى هناك ومجلس".

وقد أدى التنويع في استخدام الجمل الفعلية والإسمية، وكـذلك التنويـع فـي استخدام الأساليب الإنشائية المختلفة إلى إثراء القصيدة، وتأكيد المعاني ووضوحها، خاصة أنها جاءت ملائمة للمعاني والحالات الشعورية المختلفة.

جـ الصور الفنية:

القصيدة غنية بالصور الفنية، من تشبيه واستعارة وكناية. فأما الكناية، فمنها قوله: "أشارت بمدراها"، كناية عن استهزائها به، واستصغارها لشأنه. كذلك قولـه: "يضحى، ويخصر"، كناية عن متابعته السير والترحال في النهار والليـل. وقولـه: "عضت بالبنان"، كناية عن الندم ووقوع المصيبة. وكذلك قوله: "ليس في وجهها دم" كناية عن الخوف والقلق. وقوله: "العتاق الأرحبيات تُزجر"، كناية عـن الاسـتعداد للرحيل.

أما التشبيه فقد استخدمه الشاعر بأشكاله المختلفة. فهناك التـشبيه المكتمـل الأركان، وذلك في قوله: "كأنه حصى برد أو أقحوان منور"، تشبيهاً للأسنان بالبرد، ولبياضها بالأقحوان، فأداة الشبه، والمشبه، والمشبه به، وكذلك وجه الـشبه، وهـو النور، كلها متوفرة. وهذه الصورة حسية، حيث ركناها (المشبه والمشبه به) حسيان، هي صورة حسية بصرية. وهناك التشبيه بالإضافة، مثل قوله: "مـشية الحبـاب"، تشبيهاً لمشيته بمشية الأفعى. وهي أيضاً صورة حـسية بـصرية. وهنـاك تـشبيه التمثيل، وهو تشبيه حالة بحالة، وذلك في قوله:

وترنو بعينيها إلي كما رنا   إلى ظبية وسط الخميلة جؤذر

فهو هنا يشبه إدامتها النظر إليه، بإدامة ولد البقرة الوحشية النظر إلى الظبية، فهـو تشبيه حالة بحالة، وهي أيضاً صورة حسية بصرية.

وأما الاستعارة، فهناك الاستعارة المكنية، ومنها قوله: "تقاذفت بـه فلـوات"، حيث شبه الفلوات بالأشخاص الذين يتقاذفون الشئ، وحذف المشبه به، ورمز إليـه بشئ من لوازمه وهو القذف. وهذه صورة حسية بصرية، فيها تشخيص للفلاة، مما قوى المعنى وأكده، وكان أبلغ في التعبير عن كثرة ترحالة، وكأن الفلوات تتقاذفـه وتدفع كل منهن به إلى الأخرى.

ومنها قوله: "فدل عليها القاب ريا"، على سبيل الاستعارة المكنية، حيث شبه الرائحة بالشخص الذي يدل آخر على منزل أو على طريق، وقد حذف المشبه به وهو الإنسان ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الدلالة. وهذه صورة ذهنية، حيث شبه الرائحة، وهي شئ ذهني غير محسوس، بشئ حسي. وكذلك قوله: "قادني الشوق"، استعارة مكنية، حيث شبه الشوق بالإنسان الذي يقود. وهي صورة ذهنية، حيث شبه الشوق، وهو شئ ذهني بصورة حسية.

وهناك الاستعارة التصريحية، مثل قوله: "يمج ذكي المسك"، حيث حذف المشبه، وهو رائحة فمها، وصرح بالمشبه به، وهو ريح المسك. وهي صورة ذهنية ، حيث شبه رائحة فمها، وهو شئ ذهني، بالمسك.

وقد عمقت هذه الصور المعنى وزادته وضوحاً. ووفق الشاعر في عرض هذه الصور، وتسخيرها لخدمة الأغراض التي يقصدها، والمعاني التي يريدها.

د- الإيقاع الموسيقي:

استخدم الشاعر البحر الطويل، ليصوغ قصيدته عليه. ويعد البحر الطويل أنسب البحور للقصص، وذلك لأن في خفاء جرسه، واعتداله، وطول نَفَسه ما يعين على القصص[10]. و"عنصر القصص والنعت فيه من الطراز الذي يدعو السامع أن يصغي ويتفهم قبل أن يهتز ويرقص"[11].

والبحر الطويل يعد بحر الجلالة والنبالة والجد [12]. و"قصيدة عمر على عبثها جادة، فإن لعمر مذاهب في تصوير غرامه، فتارة يورده على سبيل الملح والتظرف فيختار له البحور القصار، وتارة يشيد به ويفخمه، ويظهره مجرى الجليل من الأعمال، وعندئذ يعمد إلى الطويل، ويتخير له ما يلائمه من جزالة اللفظ ورصانته، وهذا ما فعله في الرائية" [13].

---

10 - عبدا الطيب: المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها، الجزء الأول، الدار السودانية، الخرطوم، الطبعة الثانية، بيروت، 1970، ص 368.

11 - المرجع السابق، ص 368.

12 - المرجع السابق، ص 381

13 - المرجع السابق، ص 394.

وقد استخدم الشاعر الراء المضمومة روياً للقصيدة. والضمة حركة تـشعر بالأبهة والفخامة[14]. فهي، بذلك، مناسبة لطبيعة القصيدة الفخمة الجادة، كما بينا. أما حرف الراء، فإنه يدل على القلق والاضطراب، وهو يتناسب مع الحالـة النفـسية والمغامرة التي صاغ الشاعر قصيدته في جوها. فالجو الغالب على النص، هو جـو الحذر والقلق والتوتر، ولا يعيشه الشاعر وحده، وإنما يعيـشه معـه القـارئ، أو السامع، أيضاً وهو يتابع القصيدة ويتفاعل معها. وبذلك جاء الروي مناسباً لغـرض القصيدة وموضوعها.

وقد وقع الشاعر في عيب من عيوب القوافي يعرف بالتـضمين، وهـو أن ينتهي البيت بكلمة لا تستقل بذاتها، وإنما يكتمل معناها في البيت التالي. وقـد وقـع هذا للشاعر في قوله:

فبت رقيبـاً للرفـاق علـى شـفا   أحـاذر مـنهم مـن يطـوفُ وأنظـر
إليهم متى يـستمكن النـوم مـنهم   ولـي مجلـس لـولا اللبانـةُ أوعـر

فقوله: أنظر، لا يتم معناه إلا بالكلمة التي يبدأ بهـا البيـت التـالي: إلـيهم. إلا أن "التضمين، لا يعد عيباً كبيراً، بل قد يستحسن وقوعه إذا كان الشعر قصصياً آخـذاً بعضه برقاب بعض" [15] كما في هذه القصيدة.

وبالإجمال، فقد جاءت الموسيقى، من وزن وروي، مناسبة لغرض القـصيدة وجوها، والحاله الشعورية الغالبة على القصيدة. وجاء البحر الطويل، بما فيـه مـن موسيقى خافتة تعين على القص والسرد، ولا تشغل ذهن السامع بموسيقى مجلجلـة، جاء مناسباً ومطابقاً. كما جاءت الراء المضمومة مناسبة تماماً للحالـة الـشعورية الغالبة على النص، من قلق وترقب، مع مناسبتها لما فـي القـصيدة مـن فخامـة ورصانة.

---

14 - المرجع السابق ص 69.

15 - المرجع السابق، ص 41.

الخاتمة

بعد هذه الجولة في ربوع رائعة عمر بن أبي ربيعة، لا يستطيع المرء أن يكتم مدى إعجابه بها. فالقصيدة، بحق، تعد من عيون الشعر العربي، فقد وفق الشاعر في صياغتها وحشد فيها كل طاقته الإبداعية.

والقصيدة تصور مذهب عمر بن أبي ربيعة في اللهو وتجشم المشاق في سبيل الوصول إلى من يحب، كما تصور مذهبه الحسي في الغزل، خير تصوير. كذلك تصور القصيدة أسلوب عمر بن أبي ربيعة الشعري، الذي يقوم على أسلوب القص والحوار، والسلاسة اللفظية والبعد عن الغريب والوحشي من الألفاظ.

ويظهر مذهب عمر بن أبي ربيعة الغزلي في القصيدة. فمن ذلك إعجابه بنفسه، وسعي الفتيات خلفه، وذكرهن له في خلواتهن. ويظهر ذلك في قوله:

أهذا المشهر؟ أهذا المغيري الذي كان يذكر؟

أهذا الذي أطريت نعتاً فلم أكن وعيشك أنساه إلى يوم أُقبر؟

فأنت أبا الخطاب غير مدافعٍ.. إلخ.

كذلك يشيع في القصيدة، أسلوب الحوار الذي يتميز به شعر عمر بن أبي ربيعة، وأسلوب السرد القصصي، الذي توسع فيه عمر وأكثر منه، حتى تفوق في ذلك على امرئ القيس، الذي استخدمه قبله.

وفي هذه القصيدة بالذات، تحققت كثير من عناصر القصة القصيرة بمفهومها المعاصر، من بداية ووسط ونهاية، وعقدة وحل. وقد أشرنا إلى ذلك في صدر هذه الدراسة. وبذلك تعد هذه القصيدة من بواكير القصص في الأدب العربي.

وقد نجح الشاعر، باستخدامه هذا الأسلوب القصصي، في تشويق القارئ أو السامع، وجعله يتابع القصيدة باهتمام ولهفة لمعرفة ما سيقع من أحداث. وقد وفق الشاعر في تشويق القارئ، قبل بدء المغامرة، وهو يراقب القوم ويتخذ الإحتياطات اللازمة، وكذلك بعد وصوله لمن يحب، وبعد استيقاظ القوم، وحتى نجا منهم. كل ذلك في أسلوب شائق متتابع، يشد القارئ، أو السامع، ويجعله يتابعه حتى النهاية.



وقد وفق الشاعر، كذلك، في ربط الشكل الفني للقصيدة بالمضمون، وجـاءت الألفاظ والتراكيب، والصور الفنية، مطابقة للمعاني، والدلالات النفسية، والشعورية.

وأخيراً، فقد أحسن الشاعر اختيار الروي والوزن الشعري المناسب لغـرض القصيدة، وموضوعها. حيث اختار البحر الطويل الملائم للشعر القصصي، واختـار الراء المناسبة لجو المغامرة من ترقب وحذر، وجعلها مضمومة والـضمة مناسـبة لفخامة القصيدة ورصانتها.

المصادر والمراجع

1- عبدا الطيب (الدكتور): المرشد إلى فهم أشعار العرب وصـناعتها، الجـزء الأول، الدار السودانية، الخرطوم، الطبعة الثانية، بيروت،1970م.

2- فايز محمد (الدكتور): ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ - 1992م.

3- يوسف شكري فرحات (الدكتور): ديوان عمر بن أبـي ربيعـة، دار الجيـل ، بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ - 1992م.

السيرة الذاتية للكاتب



الاسم : عبدالحكيم عبدالله الزبيدي

الجنسية : الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني : zubaidi@bakatheer.com

المؤهلات الدراسية:

- دكتوراة في السجلات الطبية – جامعة أبردين – المملكة المتحدة – 2006
- بكالريوس في إدارة الخدمات الطبية – جامعة أريزونا- الولايات المتحدة الأمريكية 1991
- بكالريوس في اللغة العربية – جامعة الإمارات العربية المتحدة – 1999

الاهتمامات الأدبية:

- له محاولات شعرية نشر بعضها في الصحف والمجلات الأدبية، وفازت بعض قصائده بجوائز في المسابقات الأدبية.

- له العديد من الدراسات الأدبية المنشورة في الصحف والمجلات الأدبية والمواقع الألكترونية.

- نشر له كتاب ألكتروني بعنوان: اليهود في مسرح علي أحمد باكثير، منشور على موقع ناشري للنشر الألكتروني.

- أسس ويدير موقع الأديب علي أحمد باكثير على الإنترنت .

- شارك في ملتقى الأديب علي أحمد باكثير الذي نظمه اتحاد كتاب وأدباء الإمارات بمدينة الشارقة يومي 9 و10 مايو 2006.